

# التوظيف القرآني في الخطبة الفدكية

## عرض وتحليل

■ د.م نور الساعدي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

### المقدمة

الخطبة الفدكية هي الكلمة التي ألقتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي ﷺ بعد وفاته، واخراج عاملها من أرض فدك، فلم تكن خطبة في وضع طبيعي بل هي احتجاج على ما تعرضت له السيدة الزهراء عليها السلام من أمة أبيها (هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر)<sup>(١)</sup>، وبمعرفة كيفية خروجها وجلوسها في المسجد النبوي يجد القارئ ان الخطبة جاءت لغايات محددة وبصياغة قرآنية مقصودة، لذلك فإن الحديث عن التوظيف القرآني في خطاب سيدة نساء العالمين عليها السلام القصد منه بيان مركزية القرآن الكريم في سياق الخطبة.

والتوظيف القرآني هو احد اشكال التناص، والتناص من اكثر المصطلحات المستعملة في المفردات النقدية المعاصرة ويعبر عنه بتداخل النصوص، إذ تحدث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لانتاج نص لاحق<sup>(٢)</sup>، والمراد به هنا تضمين نص الخطبة نص قرآني او أكثر، او استعمال مفردة او حادثة قرآنية في نصها.

والباحث هنا لا يريد بحث مدى التفاعل النصي القرآني في الخطبة الفدكية<sup>(٣)</sup>، بقدر ما يسعى الى بيان كيفية توظيف ذلك التفاعل القرآني في بيان المضامين التي ارادتها السيدة الزهراء في خطبتها وكيفية استعمالها للنص القرآني لتحقيق غايتها من الخطاب، لذلك فإن البحث انتهج منهج الاستقراء والتحليل، إذ يحاول الباحث من خلال استقراء نص الخطبة وتحليل التوظيف القرآني فيها الوصول الى أسباب ذلك التوظيف في الاحتجاج والحكمة منه.

لابد من التنويه بأن البحث سيعتمد على نص الخطبة التي اوردها العلامة المجلسي في كتابه بحار الانوار<sup>(٤)</sup>، بعد ان ذكر مصادر الخطبة الفدكية والاسانيد التي رويت بها والتي سيمر عليها البحث ضمن مبحثه الاول. أما المبحث الثاني فقد اهتم ببيان مجالات التوظيف القرآني في الخطبة الفدكية، والمبحث الثالث عرض وصف القرآن الكريم في الخطبة واسباب توظيف نصه فيها، ثم انتهى بخاتمة ذكر الباحث فيها اهم النتائج التي توصل إليها. ومن الله التوفيق..

## المبحث الاول

### الخطبة الفدكية (المصادر والاهداف)

قبل الولوج في بيان المضامين القرآنية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام لابد من بيان مصادر تلك الخطبة والاهداف التي ارادت سيدة نساء العالمين عليها السلام ان تحققها من خلال خطبتها، إذ بمعرفة شهرة الخطبة من جهة والاهداف التي جاءت من اجلها من جهة اخرى، يمكن معرفة اسباب التوظيف القرآني فيها ومدى تأثيرها في النفوس.

## أولاً: مصادر الخطبة الفدكية:

تعدّ هذه الخطبة من أهم الوثائق الروائية التي حفظتها لنا مصادر عدة عند العامة والخاصة، إذ قال العلامة الاربلي في كشف الغمة انها (من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عقبة من أرج الرسالة، وقد أوردتها المؤلف والمخالف)<sup>(٥)</sup>، كما قال العلامة المجلسي ان (هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متظافرة)<sup>(٦)</sup>، فمن المصادر التي روتها ما يأتي:

١. العلامة أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور<sup>(٧)</sup>، ذكرها في كتابه القيم (بلاغات النساء) في الصفحة ١٢ - ١٤.

٢. العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي، في (شرح النهج) الجزء ١٦ صفحة ٢٥٢ ذيل كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف.

٣. العلامة في اللغة والأدب، ابن المنظور، في (لسان العرب) في مادة (لم).

٤. العلامة اللغوي والإمام الأدبي: ابن الأثير، في (النهاية) في مادة (لمة).

٥. المؤرخ علي بن الحسين المسعودي، في (مروج الذهب) الجزء ٢، صفحة ٣١١.

٦. العلامة المحقق عمر رضا كحالة، في (أعلام النساء) الجزء ٤، صفحة ١١٦.

كما ان الخطبة رويت بأكثر من اسناد إذ ذكر الشريف المرتضى في مقام الرد على القاضي عبد الجبار صاحب (المغني): (روى أكثر الرواة الذين لا يتهمون بتشيع ولا عصبية)<sup>(٨)</sup> فقد أخرجها من أثبات الجمهور وأعلامهم (أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة) و(فدك) بطرق وأسانيد ينتهي بعضها إلى السيدة زينب بنت علي وفاطمة عليهما السلام، وبعضها إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام، وبعضها إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزهراء عليها السلام كما في ص ٧٨ من المجلد الرابع من شرح النهج الحميدي، وأخرجها أيضاً أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني

بالإسناد إلى عروة بن الزبير، عن عائشة ترفعها إلى الزهراء كما في ص ٩٣ من المجلد الرابع من شرح النهج. وأخرجها المرزباني أيضاً كما في ص ٩٤ من المجلد المذكور بالإسناد إلى أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده يبلغ بها فاطمة عليها السلام (٩)، وقد ذكر العلامة المجلسي ان الشيخ الصدوق قد روى (بعض فقراتها المتعلقة بالعلل في (علل الشرائع) عن ابن المتوكل عن السعد آبادي، عن البرقي، عن إسماعيل بن مهرا، عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت علي عليها السلام قال: وأخبرنا علي بن حاتم، عن محمد بن مسلم، عن عبد الجليل الباقطاني، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن عبد الله بن محمد العلوي، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت علي عليها السلام، عن فاطمة عليها السلام بمثله... وأخبرني علي بن حاتم، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن عمارة، عن محمد بن إبراهيم المصري، عن هارون بن يحيى، عن عبید الله بن موسى العسبي، عن حفص الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمته زينب بنت علي عليها السلام، عن فاطمة عليها السلام ... وروى السيد ابن طاووس في كتاب (الطرائف) موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة عن الشيخ أسعد بن شفرو في كتاب (الفائق) عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني (١٠).

ومما تقدم يتضح ان الخطبة الفدكية:

١. ليست اسطورة كما يدعي بعض المدعين او انها من تأليف الشيعة، فكل من مصادر الفريقين قد ذكرتها باسناد متعددة.
٢. لها أهمية خاصة حتى ان كل تلك المصادر حفظتها واستشهدت بها في بيان شرح او معنى لغوي وغيرها.

ثانيا: اهداف الخطبة الفدكية:

تضمنت الخطبة الفدكية مجموعة من الموضوعات الهامة والحساسة، تقصد كل

منها هدفاً واضحاً<sup>(١١)</sup> يمكن اجمالها فيما يأتي:

١. اختصرت في خطبتها أصول العقيدة بركنيها الأساسيين: التوحيد والنبوة.

٢. بينت أسرار التشريعات الإسلامية وحكمها وخصائصها.

٣. تشخيص واقع المسلمين بعد وفاة الرسول وكيف انحرف عن خط

الاستقامة والمسار الذي خطه الرسول.

٤. حددت موقفها من الأحداث الطارئة والحادثة بعد وفاة النبي.

٥. دخلت في قضية ارثها من رسول الله واستحقاقها فذك من خلال

الاستدلال القرآني كما سيتضح.

وبناء على الموضوعات الواردة في الخطبة يتضح ان سيدة نساء العالمين عليها السلام

ارادت تحقيق مجموعة من الاهداف<sup>(١٢)</sup> الآنية والمستقبلية، فهي وان كانت في حال

شكوى واحتجاج الا انها وظفت ذلك الاحتجاج وتلك الشكوى لبيان مجموعة من

الحقائق على الانسانية ان تعيها لاسيما فيما يخص الحقوق من جهة والشرعية السياسية

من جهة اخرى؛ لأن فداً كانت معنى رمزياً يرمز إلى تعديل أمة انقلبت على اعقابها،

(ولا يعني تلك الأرض الحجازية المسلوقة، وهذه الرمزية التي اكتسبتها فداً التي

ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عادية منكمشة في أفقها، محدودة في دائرها إلى ثورة

واسعة النطاق رحيبة الأفق)<sup>(١٣)</sup>.

وعند استقراء الخطبة الفدكية يمكن استخلاص اهداف الزهراء على نحوين:

**الاول: الاهداف الآنية:**

١. استرجاع حقها عليها السلام المغصوب؛ لأن الحزب الحاكم قد استولى على جميع

الحقوق السياسية والاقتصادية لبني هاشم، وألغى جميع امتيازاتهم المادية

والمعنوية<sup>(١٤)</sup>.

٢. رفع الحيرة الناجمة عن الفتنة الفكرية والصراع السياسي الذي تعرضت لها امة الاسلام في اول مرحلة تعيشها بعد غيبة نبيها ﷺ (١٥).

٣. جعل المطالبة بفدك قضية رأي عام من خلال القاء الخطبة في المسجد النبوي اي في مقر الحكم للدولة الاسلامية التي أسسها النبي ﷺ وهو ابوها، وما يدل على ذلك توجهها ﷺ للمسجد بمعية مجموعة من نساء قومها، فلو انها قضية شخصية لما خرجت ﷺ على تلك الهيئة ولما اختارت المسجد النبوي لبيان شكواها.

### الثاني: الاهداف المستقبلية:

١. ارادت ان تعي الامة ولو بعد حين ان معارضة الحكومات الغاصبة امر مشروع ومن حقوقها التي لا ينبغي التغاضي عنها او السكوت عليها.

٢. بيان عدم مشروعية الحكم في تلك الحقبة الزمنية، والقاء الحججة على الناس، فلو انها ﷺ سكتت عن المطالبة بحقها ولم تنتقد اداء السلطة الحاكمة آنذاك لفسر سكوتها عن ذلك بأنه امضاء لشرعية تلك السلطة، وأصبح مبررا لممارساتها المخالفة لنهج القرآن الكريم.

٣. ان لا تترك الامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: مجالات التوظيف القرآني في الخطبة الفدكية

يعد استدعاء آيات القرآن الكريم والفاظه وشخصياته واحداثه من الخصائص التي تميزت بها الخطبة الفدكية، إذ كان التوظيف القرآني في الخطبة في ثلاثة مجالات هي:

أولاً: المجال المعرفي:

تضمنت الخطبة الحديث عن المنظومة المعرفية الاسلامية ابتداء من التوحيد وانتهاء الى المعاد والجزاء، في ديباجة قرآنية تستحق الدراسة والتأمل، وما يهم البحث هنا كيفية توظيف النص القرآني لبيان تلك المعارف، منها ما يتعلق بـ:



١. صفاته سبحانه كقولها ﷺ: (المتنع من الأبصار رؤيته) (١٦) فالتوظيف القرآني هنا على مستوى المفهوم لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الانعام: ١٠٣)، إذ نفت ﷺ ادراك الابصار له سبحانه لتعالیه عن الجسمية و لوازمها، و اشارة الى ان رؤيته سبحانه إذا تحققت فهي (رؤية من غير سنخ رؤية البصر الحسي) (١٧).

٢. صفات الرسول الاعظم محمد ﷺ ومهامه التي اوضحتها ﷺ اعتمادا على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، إذ استدعت ﷺ النص القرآني كاملا وضمنته خطبتها جاعلة منه تمهيدا للموضوع الاساس الذي ارادته من خطبتها الا وهو المطالبة بحقها، فالرسول الذي بين القرآن الكريم مدى حرصه على المؤمنين ورحمته ورافته بهم هو ابوها وهم في قبال ذلك لم يرعوه ويحفظوا مكانته بها، وهي بذلك توظف النص القرآني في مجاله المعرفي توظيفا دقيقا للوصول الى مرادها ﷺ، والدليل على ذلك تعقيها على نص الاية بقولها ﷺ: (فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه ﷺ) (١٨).

وعلى مستوى التوظيف الجزئي للنص القرآني في خطاب الزهراء ﷺ في بيان ما أداه الرسول ﷺ في حياته قولها ﷺ: (فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة مائلاً عن مدرجة المشركين.... داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة... حتى انهزم الجمع وولوا الدبر) (١٩) وهنا اشارة واضحة لكل من قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقوله: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥).

والتأمل يجد ان الزهراء ﷺ :

• اسهمت في بيان صور رحمة الرسول ورأفته من خلال اعراضه عن المشركين ودعوته لأمر الله بالبرهان والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن من خلال توظيف النص القرآني في خطبتها، وكل تلك الصور مظهر من مظاهر وسمايات شخصية الرسول الاعظم ﷺ، وبما انه ﷺ اسوة للمؤمنين فمن الاولى ان يقتدي به اصحابه وان يعتمدوا الدليل في حكمهم والرحمة برعيتهم، وهنا يظهر المغزى من توظيف النص القرآني في خطابها ﷺ وهو ايضا مقدمة من مقدمات الوصول لموضوع الخطبة الاساس وكأنها ﷺ تومئ اليهم انكم بأي دليل سلبتم الحق وضيعتم سبيل الرسول ﷺ الذي صفته ماتم ذكرها.

• بينت كيفية تفسير نص قرآني بنص قرآني آخر وهو ما يعرف اليوم بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وهذه قضية مهمة لا بد من الوقوف عندها، فالسيدة الزهراء ليس في مقام سرد فضائل ابوها فحسب، بل هي ارادت من خلال بيان فضائل ابوها مستدلة بالنص القرآن ان تبين معرفتها بالقرآن وهذا ما سيتم بيانه لاحقا.

### ثانياً: المجال التشريعي:

طلب اقامة شرع الله سبحانه وتعالى هو المطلب الاساس في خطبة الزهراء ﷺ ولولا ان القوم تركوه لما خرجت مطالبة بإقامته، فلما رأت ان حدود الله لا تقام كان لا بد لها من وقفة ازاء ذلك، فعندما تقول: (وأنتم ترعمون ألا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (٢٠) بينت بكل وضوح امرين: اولهما: ان مسألة لا ارث لها مجرد زعم يحتاج الى دليل لاثباته، وقد طالبتهم بذلك الدليل بقولها: (يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟... أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟) (٢١).

ثانيهما: ان هذا الزعم مخالف لاحكام الاسلام فنقدت منهجهم نقدا مباشرا ووصفته بالمنهج الجاهلي الذي استدعته استدعاء دقيقا من قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ





الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ (المائدة: ٥٠).

وبعد هذا النقد بدأت مرحلة الاستدلال القرآني وهو صورة من صور التوظيف القرآني في خطبتها سلام الله عليها إذ بينت حكم الميراث مستندة لمجموعة من الايات القرآنية وهي:

• قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل: ١٦).

• وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال رب ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (مريم: ٥-٦).

• قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء: ١١).

• قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى

الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠).

ومن خلال ما تقدم يتضح ان التوظيف القرآني لم يتوقف عند التداخل النصي فقط بل وصل لمقام الاستدلال ومطالبة الطرف الاخر بأن يقدم دليله أيضا من القرآن الكريم.

### ثالثاً: المجال القيمي:

شخصت السيدة الزهراء عليها السلام واقع المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وبيّنت ان هذا الانقلاب على الاعقاب يراد منه الوصول الى مرحلة تغييب وعي الامة، وابدال المنظومة القيمية التي جاء بها الرسول بقيم أخرى تعود بالمسلمين الى الجاهلية التي انتشلهم الرسول صلى الله عليه وآله منها، ولذلك فإن من يطالع الخطبة الفدكية يجد ان السيدة الزهراء عليها السلام تعقد مقارنة دقيقة بين ماضي المسلمين وحاضرهم، وتحذرهم ان استمروا بابتعادهم عن قيم الاسلام سيكون مستقبلهم كماضيهم من جهة الفرقة والتخلف.

ولم يكن النص القرآني مفارقا لها في هذا التشخيص إذ كان حاضرا فوظفته عليها السلام

أيما توظيف. ومن صورته:



١. شكر النعمة إذ قالت ﷺ: «الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما أهدم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمددها، وتفاوت عن الإدراك أبددها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها» (٢٢) والمفهوم القرآني يبدو واضح التداخل مع نص الخطبة لاسيما ماتشير له عبارة «وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها» التي تأخذ قوامها ودلالاتها من قوله تعالى: ﴿لَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (ابراهيم: ٧).

٢. التقوى من خلال التقيد بتعاليم الاسلام وعدم الانحراف عنها وهو مستوحى من قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، إذ نجدها ﷺ استدعت الاية القرآنية بكاملها في خطبتها وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

٣. وصفها حال الامة في ثلاث مراحل مستدعية النص القرآني في بيان ذلك وكما يأتي:

• قبل الاسلام وصفتهم ﷺ بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ (الانفال: ٢٦).

• بعد وفاة الرسول ﷺ تبين سقوطهم في الفتنة التي ادعوا انهم بادروا الى تعيين الخليفة قبل دفن الرسول ﷺ خوفاً منها بقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٤٩)، مذكرة لهم ان وفاة الرسول ليست مبرراً للسقوط في الفتنة لأنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (ال عمران: ١٤٤).

• استنهاضها ﷺ للانصار من خلال قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْحَشْتُمْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ (التوبة: ١٣)، والامر لا يتوقف عند الاستنهاض فقط؛ بل هو تشخيص لحال نكث العهد من قبل الامة، إذ رمزت لابعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله، لقولها: (قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض) (٢٣)، ثم بينت عاقبة خذلانهم بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (ابراهيم: ٨)، وان ظلمهم لها سيكون موصول بـ ﴿نَارَ اللَّهِ الْمَوْقُودَةَ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ﴾ (الهمزة: ٥- ٦)، وختمت بيان عاقبة من ظلمها بقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)، وأمهلهم بقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ \* وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢١- ١٢٢).

ومما تقدم يمكن القول ان:

١. تذكير الأمة بنعم الله سبحانه وندبهم لشكرها دال على ضرورة شكر نعمة الاسلام التي جاء بها الرسول، واجر هذه النعمة مودة أهل القربى لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، والسيدة الزهراء عليها السلام هي بنت الرسول وهذا ما ذكرته بشكل مباشر «أيها الناس اعلموا أني فاطمة، وأبي محمد صلى الله عليه وآله» (٢٤) ولم يكن أحد من السامعين من لا يعرفها، فما معنى هذا التصريح الا ان تذكروهم بمودة قربي رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. مطالبتهم بأن لا يموتوا الا وهم مسلمين دال على انهم انحرفوا عن جادة الاسلام بغضبها حقها والرضا بذلك الغضب، وعدم مساندتها والوقوف معها ضد السلطة الغاصبة لحقها ولذلك قالت لهم مستدلة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (ال عمران: ٨٥).

٣. توظيف النص القرآني ضمن سياق الخطبة في مجالها القيمي جاء للتذكير من

جهة والتقريع والتأنيب من جهة أخرى.



## المبحث الثالث

## توظيف النص القرآني في الخطبة الفدكية (الصور والاسباب)

ليان الاسباب التي دعت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أن تضمّن خطبتها هذا الكم الوافر من الايات القرآنية لابد من الوقوف عند صفة القرآن الكريم في خطبتها وكما يأتي:

## أولاً: وصف القرآن الكريم في الخطبة الفدكية:

وصفت السيدة الزهراء القرآن الكريم وصفا في ضوءه تتبين اسباب توظيفها للنص القرآني في سياق خطبتها، سواء كان التوظيف بصورة الاستدلال او بصورة التداخل النصي، إذ وصفته في ثلاثة مقاطع من الخطبة:

• في مقدمة خطبتها وصفته بقولها عليها السلام: (..كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائر، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة أسماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمهم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة..)(٢٥).

• في وسط الخطبة قالت عليها السلام: (كتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لائحة، وأوامره واضحة)(٢٦).

• وفي نهاية خطبتها وصفته أيضا بقولها عليها السلام: (هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا..).

فالامة التي لديها هذا الدستور الواضح لا ينبغي ان تختلف في احكامه، إلا اذا تركته وهذا ما حصل ولذلك ارادت السيدة الزهراء ان تنبه لخطورة ذلك الترك.

## ثانياً: صور التوظيف القرآني في الخطبة الفدكية:

بعد بيان مجالات التوظيف القرآني في خطاب السيدة الزهراء لقومها وعرض مجموعة من فقرات الخطبة يتبين ان التوظيف القرآني في الخطبة تمثل بثلاث صور:

١. جاء على نحو التداخل النصي في الخطبة في انواع منها<sup>(٢٧)</sup>:

• التداخل الجزئي يقصد به مجيء مفهوم الاية القرآنية مع شئ من الزيادة او التقديم والتأخير في نص الآية القرآنية.

• التداخل الكلي بمعنى ان تأتي الايات القرآنية بكاملها في نص الخطبة من غير زيادة او نقصان.

• التداخل على مستوى المفردات إذ ان توظيف المفردات القرآنية في نص الخطبة الفدكية اخذ حيزا واسعا منها، ومن تلك المفردات لفظ (بصائر، بقية، شططا، فريا..) وغيرها من المفردات الاخرى.

٢. جاء التوظيف القرآني على نحو الاستدلال بالآيات القرآنية في اثبات حقها عليها السلام في ميراث أبيها صلى الله عليه وآله، والمراد من الاستدلال هو (استنتاج قضية مجهولة من قضية او عدة قضايا معلومة، او هو التوصل الى حكم تصديقي بواسطة حكم تصديقي معلوم، او بملاحظة حكمين فأكثر من الاحكام التصديقية المعلومة)<sup>(٢٨)</sup>. فمن خلال النص القرآني اثبتت الزهراء ان الانبياء يورثون من جهة وزيف الحديث المنسوب لأبيها من جهة اخرى لتعارضه مع النص القرآني وهذا هو الاستدلال بعينه.

٣. جاء التوظيف القرآني في الخطبة على نحو الاستنكار والاعتراض وهذا ما بدا واضحا في قولها عليها السلام (أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم)<sup>(٢٩)</sup>، وقولها: (أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟!)<sup>(٣٠)</sup>، وقولها: (أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي..)<sup>(٣١)</sup>.

## ثالثاً: اسباب حضور النص القرآني في الخطبة:

التأكيد على كون القرآن الكريم هو الناطق الفصل يوقف الباحث عند اهم الاسباب التي كانت وراء الحضور المكثف للنص القرآني في خطبة السيدة الزهراء وهي:

١. ان القرآن الكريم هو المرجع في حل النزاعات لاسيما فيما يتعلق بالحقوق.

٢. الاستدلال القرآني الذي وظفته السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها ارادت منه بيان مدى علميتها بالكتاب، وانها الاولى في بيان معانيه واحكامه وهذا مانجده في قولها عليها السلام: (أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! ..)، بمعنى ان لهذا القرآن أهلاً لا بد من الرجوع إليهم في فهم معانيه واستخراج احكامه، اما ان يفسروه هم بغير ذلك الرجوع فسيؤدي الى التفسير الخاطئ ولذلك قالت عليها السلام: (لبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم)؛ ولذلك اعترضت عليهم بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤).

٣. من الامور التي شخصتها السيدة الزهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول هو العدول عن احكام القرآن الكريم لقولها: (أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم) (٣٢)، فكان لا بد من ان يكون الاحتجاج بالنص القرآني لتنبه على خطورة ترك القرآن الكريم واعمال الهوى في الحكم، والدليل على ذلك قولها عليها السلام: (يا ابن أبي قحافة، أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟!، لقد جئت شيئاً فرياً)، وكذلك قولها: «أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي..».

٤. ارادت عليها السلام ان تعلم الأمة وبشكل عملي كيف يعرضون ما يأتيهم من حديث ينسب للرسول صلى الله عليه وآله على القرآن الكريم، فإن وافقه أخذوه وإن تعارض معه فلا بد من ضربه عرض الجدار (٣٣)، فعندما احتج القوم ان سبب حرمان الزهراء عليها السلام ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله من حديث (نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة



ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الامر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه»<sup>(٣٤)</sup>، فاستعرضت السيدة الزهراء الآيات القرآنية التي لا تتوافق مع هذا الحديث ثم قالت عليها السلام: «سبحان الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صارفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره»، ثم حكمت على الحديث بأنه موضوع ولا أساس له بقولها صلى الله عليه وآله: «أفتجمعون إلى الغدر اعتلاً على الله بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته...»، ولعلها تقصد ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في حديث «كثرت عليّ الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٣٥)</sup>.

٥. للنص القرآني أثر خاص في النفوس يعمل على تحريك الوجدان إما رغبة او رهبة، ولعل هذه الخاصية للنص القرآني كانت سبباً من اسباب توظيف النص القرآني في خطاب السيدة الزهراء لقومها وبهذا الحضور المكثف للنص القرآني على مستوى النص واللفظ<sup>(٣٦)</sup>؛ لأنها ارادت ارجاعهم الى مسار الرسالة وبما ان القرآن الكريم أثر فيهم عند نزوله فلا بد من استمرار تأثيره عند التذكير به، وهذا ما ارادته السيدة الزهراء بأن تذكرهم بآيات الله التي صدفوا عنها.

## الخاتمة

يمكن اجمال مجموعة من النتائج بعد كل ما تقدم بما يأتي:

١. ان السيدة الزهراء ولعلاقتها الوثيقة بالقرآن الكريم جاءت خطبتها قرآنية بامتياز لحضور القرآن الكريم في سياق الخطبة على مستوى التركيب واللفظ والمفهوم.
٢. توظيف النص القرآني لم يتوقف عند حدود الاستدعاء بل تجاوزه الى مرحلة الاستدلال والاحتجاج.

٣. اخذ التوظيف القرآني في الخطبة عبر مجموعة من الموضوعات العقدية والتشريعية والقيمية دوره في إثبات الموضوع الاساس للخطبة وهو المطالبة بحق الزهراء عليها السلام إذ لم يكن التوظيف القرآني في تلك الموضوعات منفصلا عن الموضوع الاساس بل كان مقدمة وتمهيدا له.

٤. من خلال التوظيف القرآني في الخطبة الفدكية تتضح قاعدة من قواعد النقد لاسيما في موضوع الحديث والتفسير القرآني.

٥. التوظيف القرآني في عموم نص الخطبة يكشف عن الاسباب التي دعت السيدة الزهراء عليها السلام الى ذلك التوظيف، ومن اهمها ابتعاد الامة عن القرآن من جهة والتفسير الخاطيء له من جهة اخرى.

هذه أهم النتائج التي توصل لها البحث، ومن الله سبحانه المغفرة لما في البحث من سهو او خطأ، ومن السيدة الزهراء عليها السلام التماس القبول والرضا، والحمد لله أولاً وآخراً.

### \* هوامش البحث \*

- (١) مقطع من الخطبة الفدكية المذكورة في بحار الانوار، المجلسي (ت ١١١١هـ): ٢٩ / ٢٢١.
- (٢) ظ / نظرية التناص، جراهام ألان: ٩؛ في نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض: ٦.
- (٣) للاطلاع على كيفية التفاعل نص القرآن مع الخطبة ينظر البحث الموسوم بـ(التفاعل النصي مع القرآن الكريم في خطبة السيدة الزهراء)، د. محمد قاسم لعبيبي، والمنشور في مجلة الاستاذ العدد ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢م.
- (٤) بحار الانوار: ٢٩ / ٢٢١.
- (٥) كشف الغمة، علي بن عيسى الأربلي (ت ٦٩٣هـ): ١ / ٤٧٩.
- (٦) بحار الانوار: ٨ / ١٠٨.

- (٧) من أبناء خراسان، ولد ببغداد سنة ٢٠٤، وتوفي سنة ٢٨٠ هجرية.
- (٨) الشافي في الامامة، الشريف المرتضى (ت ٣٦٦هـ): ٤ / ٦٩.
- (٩) النص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين: المورد ٧ هامش الصفحة ١٠٦-١٠٧.
- (١٠) بحار الانوار: ٨ / ١٠٨-١٠٩.
- (١١) ظ / الزهراء سيدة نساء العالمين، ناصر مكارم الشيرازي، ١٠٨.
- (١٢) ظ / سيدة النساء فاطمة الزهراء، علي موسى الكعبي، ١٩٩-٢٠٠.
- (١٣) ظ / فدك في التاريخ، محمد باقر الصدر، ٦٣.
- (١٤) ظ / فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، احمد الهمداني: ٢ / ٥٠.
- (١٥) ظ / الوراثة الاصفائية لفاطمة الزهراء، محمد السند، ٣٥٥.
- (١٦) بحار الانوار، المجلسي: ٢٩ / ٢٢١.
- (١٧) الميزان، الطباطبائي: ١٣ / ٩٧.
- (١٨) بحار الانوار، المجلسي: ٢٩ / ٢٢١.
- (١٩) المصدر نفسه.
- (٢٠) المصدر نفسه: ٢٩ / ٢٢٦.
- (٢١) المصدر نفسه.
- (٢٢) المصدر نفسه: ٢٩ / ٢٢١.
- (٢٣) المصدر نفسه: ٢٩ / ٢٢٩.
- (٢٤) المصدر نفسه: ٢٩ / ٢٢٣.
- (٢٥) المصدر نفسه.
- (٢٦) المصدر نفسه: ٢٩ / ٢٢٥.
- (٢٧) ظ / التفاعل النصي مع القرآن الكريم في خطبة السيدة الزهراء، مجلة الاستاذ العدد ٢٠٣.
- (٢٨) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: ١٤٩.
- (٢٩) بحار الانوار: ٢٩ / ٢٢٥.
- (٣٠) المصدر نفسه.
- (٣١) المصدر نفسه.
- (٣٢) المصدر نفسه.
- (٣٣) جاء عن النبي ﷺ وضح عنه قوله: (ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار أو فدعوه).
- ظ: أصول الكافي، الكليني: ١ / ٥٥ كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

